«قاهر» ولا «ظافر»، ولا غيرهما أيضاً. كما اننا ما زلنا نعيش مع تبجح النظام السوري، مثلاً أيضاً، بأنه يسعى الى اقامة «توازن استراتيجي» مع العدو الصهيوني، حتى اتضح، بعد مرور عقد من الزمن، ان ذلك «التوازن» لم يتحقق فحسب، بل ان المواد الغذائية الاساسية اختفت من الاسواق السورية أيضاً. فالنظام الدمشقي، بدلاً من ان يسعى الى اقامة «التوازن»، انشأ في البلد حكماً استُغل لمصلحة الشلل الحاكمة والمتنفذة. وجرياً على هذا «التقليد» لا ضرورة لأن نستغرب كثيراً ان وجد هناك من قد يزعم ان تصريحات المسؤولين العراقيين حول الردع الاستراتيجي، وما تلاها من ردود فعل ومواقف، محلية وعالمية، ليست الا طبعة أخرى، جديدة، من تصريحات الرئيس عبدالناصر والنظام السوري.

الّا اننا نعتقد بأن هذه المزاعم ليست في محلها. فالوضع، هنا، يختلف بصورة ملحوظة؛ وهناك من المعطيات ما يؤيد ذلك بوضوح.

لقد خاض العراق حرباً ضروساً ضد ايران، استمرت لسنوات، وتمكن من حسمها والانتصار فيها اخيراً. وليس المهم، في هذه التجربة، الانتصار الذي حققه العراق فحسب، الذي كان أول انتصار تحققه الأمة العربية خلال هذا القرن على الاقل، بل ان الأكثر اهمية هي الطريقة التي تمّ بها ذلك، والعبرة الكامنة فيها. فقد وجد العراق نفسه، بعد فترة قصيرة من اندلاع القتال، يخوض حرباً «منسيّة»، ليس هنالك من هو معنيّ بايقافها. ثمّ ما لبثت دائرة المؤامرة ان اتسعت لينضم الى العدو الفارسي حلفاء «استراتيجيون» آخرون، نذكر منهم، على سبيل المثال، سوريا وليبيا واسرائيل، التي وقفت في الحرب الى جانب ايران، ومنها من راح يزودها حتى بالاسلحة. ووقوف العدو الصهيوني الى جانب الفرس ضد العرب ليس جديداً، على كل حال. فمنذ عهد الشاه، كانت اسرائيل تقيم علاقات حميمة مع ايران، والنظامان يتآمران سوية، وبشكل منتظم، ضد المصلحة العربية. صحيح ان الخميني، منذ قدومه الميمون، ناصب اسرائيل العداء، علناً، مؤكداً انه سيعمل على تحرير القدس، الّا انه لم يمر وقت طويل حتى اتضح له، كما يبدو، ان الطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي بواسطة السلاح الاسرائيلي. ولذلك راح رسله يعقدون الصفقات، بواسطة بعض الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية، لشراء السلاح من اسرائيل او من طريقها. ومن قد يستهويه الالمام بتفاصيل هذا الموضوع بامكانه متابعة محاكمة / فضيحة ايران ـ الكونترا التي لا تزال، حتى الآن، موضع النظر لدى المحاكم الاميركية.

ولا غرابة، على كل حال، في هذا التحالف بين النظامين، الايراني والاسرائيلي. ولكن الغريب، والعجيب، والمريب، هو ان تجد دولاً، او بصورة اكثر دقة، حكاماً يسمون انفسهم عرباً يصل بهم الحد الى مساعدة عدو خارجي للأمة العربية، يشن حرباً على احد اقطارها ويحاول انتزاع اراض عربية، اي جزء من ارض الوطن. ويستطيع المرء ان يدرك، بالطبع، ان خلافات سياسية، او غيرها، يمكن ان تنشأ بين هذا النظام العربي، او ذاك، او حتى داخل النظام نفسه؛ وهو ما يمكن، على كل حال، فهمه وتبريره؛ ولكن، ما لا يمكن فهمه ولا تبريره، ولا يجوز كذلك نسيانه، هو اقدام بعضهم على مساعدة عدو خارجي للأمة، يهدف الى اقتطاع جزء من اراضيها، ممّا يشكل جناية خيانية من الدرجة الاولى. وهذا، بحد ذاته، ليس، على اي حال، الّا برهاناً على مدى الانحطاط الذي وصل اليه بعض من ابتُليت بهم هذه الأمة.

ولكن على الرغم من ذلك، وعلى الرغم، أيضاً، من وقوف بعض العرب على «الحياد»، صمد